بسم الله الرحمن الرحيم

ورقة علمية بعنوان:

الكناية عن بيت المقدس في القرآن الكريم
(دراسة بلاغية في القرآن الكريم)

إعداد الدكتور/

إدريس محمد القديل جمعة

مستخلص

تناولت هذه الدراسة البحث في القرآن الكريم عن السور والآيات التي ورد فيها ذكر بيت المقدس كمن طريق الكناية، وهدفت الدراسة عن كشف هذه الأسرار البلاغية في مكامن القرآن ليسهل فهمها، وجاءت أهمية هذه الدراسة في أنها شرحت المواقع التي ذكر فيها بيت المقدس وإضفاء أسلوب الكناية في التعبير عنه، وذلك لما فيه من خصوصية في المعنى بالدليل، وأن حديث القرآن عن القدس جاء متناغماً مع ترتيب لنزول، كما جاء هذا الترتيب كاشفاً عن ترتيب السور، في المصحف من حيث التقديم والتأخير، وقد أتبعنا الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي، ومن أهم نتائج الدراسة أنه ذُكر بيت المقدس في عدد ثمانية عشر آية من عدد عشر سور مرتبة من حيث التقديم والتأخير كما هو في المصحف الشريف، وتوصي هذه الدراسة بأن تتبعا دراسات أخرى للبلاغة بكل فروعها في القرآن الكريم.

الكناية:

الكناية في أصل اللغة:

هي أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره، وهي الغطاء وزناً ومعنى، والجمع أكنه مثل أغطيه، وقد كنييت بكذا عن كذا وكنوت. وهي أذن تقيض الإعلان والإفصاح ومقابل للصريح، والإعراب الذي هو نقيض للعجمة والبهمة، فكنتته سترته وكنه بالكسر هو الستره وأكننته بالألف أخفيته، وقيل الثلاثي والرباعي لغتان في الستر وفي الإخفاء جميعاً، وأمن الشيء وأستكن إستتر⁽¹⁾ فكنتت الشيء إذ خبأته وسترته وكل شيء سترت به شيء فهو كناية⁽²⁾ قال تعالى: (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)⁽³⁾ وأكننته أضمرتة، وبنى على باب داره كنه بمعنى ستره،⁽⁴⁾ وبناء على ما تقدم فإن الكناية كيفما كانت تعني الستر والإضمار والإخفاء وهي أبعد ما تكون من السفور والوضوح.

ويرى الأصوليون والفقهاء أن الكناية لفظ أستتر المراد عنه في نفسه، والمعتبر عندهم في الصريح والكناية الاستتار، ولم يفسروا الكناية إلا بما أستتر منه المراد سواء أكان باعتبار المحل أو غيره ولم يشترطوا اللزوم ثم الانتقال منه إلى ملزومه كما أشرط أهل البيان بدليل أنهم جعلوا الحقيقة المهجورة والمجاز غير المتعارف كنية بمجرد الاستتار، بينما هي عند علماء البيان لفظ قصد بمعناه معنى ثانٍ ملزوم له، أي لفظ أستعمل في معناه الموضوع له لكن لا ليعلق به الثبات والنفي ويرجع إليه الصدق والكذب، بل لينتقل منه إلى ملزومه فيكون هذا مناط الإثبات والنفي ومرجع الصدق والكذب.

الكناية اصطلاحاً:

هي لفظ أريد لازم معناه مع جواز إرادة معناه الحقيقي⁽⁵⁾ كقولك: (فلانة تؤوم أحي) أي: مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها.

وفي الاصطلاح أن وقت الضحى هو وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه في تهيئة المتاولات واصطلاحاً لا تنام في ذلك الوقت من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك. فالفرق بين الكناية وبين المجاز من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمة هو أن المجاز ينافي ذلك، فلا يصح نحو قولك: (في الحمام أسد) أن تريد معنى الأسد من غير تأويل لأن المجاز ملزوم قرينه معاندة لإرادة الحقيقة وملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء.

والكناية أن يقصد في اللفظ معناه اللزوم ولكن تخلو الجملة مع قرينة تمنع إرادة المعنى الأصل وذلك مثل قولك: (زيد طويل اللسان) وتقصد أنه بذيء، فهنا أستعمل اللفظ (طويل اللسان) وأريد لازمه، وكما ترى المثال يخلوا من قرينة تجعل إرادة المعنى الحقيقي مستحيلاً.

أقسام وأنواع الكناية:

تنقسم الكناية إلى ثلاثة أقسام وهي:

كناية عن صفة، كناية عن موصوف، كناية عن نسبة.

الكناية عن صفة:

هي التي يكون المعنى المقصود صفة تثبت لموصوف: أي معنى من المعاني، مثل الكرم، والخلم، والجود، والسرعة، والبطء، ونحو قولك: (زيد لا يدخل من هذا الباب) فهنا كناية عن صفة وهي ضخامته، ونحو: زيد لا يفارق السجادة

وهنا كناية عن صفة الكسل والنوم، ونحو قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) (7) وهنا كناية عن صفة وهي الإعراض. وتتقسم الكناية عن صفة إلى ضربين:

1/ كناية عن صفة قريبة وهي ما يُنقل منها إلى المطلوب بلا واسطة وذلك نحو (فلان طويل النجاد) فهنا صفة الموصوف مباشرة وهي طول القامة.

2/ كناية عن صفة بعيدة وهي ما ينتقل منها إلى المطلوب بواسطة، كقولهم: (كثير الرمال) فهي من كثرة الرمال إلى كثرة إحراق الحطب إلى الطبخ إلى كثرة الضيوف إلى الكرم (8).

الكناية عن موصوف:

هو أن يكون المعنى المقصود هو ذات تتصف به مثل: (الرجل، المرأة، السيارة، الحصان، السفينة، والنخلة...)، هي كلها ذوات صالحة لا توصف بصفة ما وذلك نحو: (رأيت ملك الغابة) فهنا لم تقصد بهذه الكناية (ملك الغابة) بل المقصود هو الأسد لأن الغرض منه ملك الغابة أن تثبت صفة خاصة تدل على ذات موصوف هو الأسد ونحو: (أصبت العدو في مجمع الإضغان) والإضغان هي الأحقاد وملخصها هو القلب. فأنت تريد أن تقول أصبت العدو في قلبه فكنتيت القلب بصفة تستلزمه وهي مجمع الإضغان وهذه كناية عن موصوف، ونحو قوله تعالى: (وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ) (9) وهنا كناية موصوف وهي السفينة.

الكناية عن النسبة:

هي الحكم، وهو أن تسند الصفة إلى ما له تعليق بالموصوف، وهي الكناية التي تطلب بها تخصيص الصفة بالموصوف، ويزاد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه. وذلك نحو: (المجد بين ثوبيه والكرم ملء بين بُرديه) وذلك القول يتوصل إلى إثبات المجد والكرم للممدوح بأن جعلها في ثوبيه الذي يلبسها (10). وذلك نحو قول زياد بن الأعجم:

إن السماة والمرودة والندی *** في قبةٍ ضربين لابن الحشرج (11)

فإنه صرح بإثبات هذه الصفات لابن الحشرج جمعها في قبة وجعلها مضروبة عليه، فأفاد إثبات الصفات المذكورة على طريق الكناية.

بيت المقدس:

أول ما يمثله بيت المقدس في حس المسلمين وفي وعيهم وفكرهم الديني أنه القبلي الأولى التي ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يتوجهون إليها في صلاتهم منذ أن فرضت الصلاة ليلة الإسراء والكعراج في السنة العاشرة للبعثة المحمدية، أي قبل الهجرة بثلاث سنوات، وظلوا يصلون إليها في مكة، وبعد هجرتهم إلى المدينة

بسته عشر شهراً حتى نزل القرآن يأمرهم بالتوجه إلى الكعبة، أو المسجد الحرام، قال تعالى: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (12).

ويوجد في المدينة المنورة معلم بارز يؤكد هذه القضية وهو مسجد القبلتين الذي صلى فيه المسلمون صلاة بعضها إلى القدس وبعضها إلى مكة، وهو ما زال قائماً.

وقد أثار اليهود ضجة كبرى حول هذا التحول ورد عليهم القرآن بأن الجهات لكها لله، وهو الذي يحدد أيها يكون القبلة لمن يُصلي له. (13)

قال تعالى: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). (14)

إلى قوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ). (15)

فقد قاوا إن صلاة المسلمين تلك السنوات قد ضاعت وأهدرت لأنها لم تكن إلى قبلة صحيحة فقال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ). (16)

أي صلاتكم لأنها كانت صلاة إلى قبلة صحيحة مرضية عنده.

القدس أرض الإسراء والمعراج:

ثاني ما تمثله القدس في الوعي الإسلامي إنها منتهى رحلة الإسراء ومبتدأ رحلة المعراج السماوية، فقد شأت إرادة الله تعالى أن تبدأ هذه الرحلة الأرضية المحمدية في هذه الليلة المباركة، من مكة ومن المسجد الحرام وأن تنتهي عند المسجد الأقصى، وقد كان ذلك بتدبير الإله وحكمة ربانية، وأن يلتقي خاتم الرسل والنبیین هناك بالرسول الكرام ويصلي بهم إماماً، وفي هذا إعلام عن انتقال القيادة الدينية للعالم من بني اسرائيل إلى أمة جديدة ورسول جديد عالمي وكتاب عالمي.

الكناية عن بيت المقدس في سورة البقرة:

قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَعْفُرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ). (17)

وقد ذكر المفسرون أن المراد بالقرية هنا بيت المقدس (18) وذكر القرية كناية عن موصوف هو بيت المقدس وقد جاءت القرية هنا في أول موضع في القرآن الكريم في سياق جملة فعلية وقد وقعت القرية بدلاً من اسم الإشارة الدال على القرب، إغراء لليهود على امتثال أمر الله، وقد جاء تركيب الآية عاقداً الأمر بدخولها بالتعبد، مقيداً الإغراء على دخولها بكثرة الخير الدنيوي فيها وانتشار ه في كل أماكنها.

قال تعالى: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). (19)

على حسب ما جاء في تفسير هذه الآيات ذكر المفسرون أن المراد بقبلتهم هنا هو المسجد الأقصى بيت المقدس⁽²⁰⁾ والذي تحصل عليه أن جاءت كناية عن موصوف وهو بيت المقدس.

قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ).⁽²¹⁾

وقد جاءت كلمة (القبلة) في هذه الآية كناية عن موصوف في سياق جملة فعلية مجرورة بعن مضافة إلى ضمير المسلمين وهذه الإضافة للدلالة على مزيد اختصاصها لأنه لا يستقبلها غيرهم.⁽²²⁾

قال تعالى: (وَلَيْنِ أَتَيْنَتِ الدِّينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ).⁽²³⁾

جاءت كلمة (قبلتك) في الآية كناية عن صفة في سياق أسلوب قصر (ما وإلا) وهي أقوى أدوات القصر كما أن الفعل (هدى) في نفس الآية ينادي على مطلع السورة الذي يحمل مقصودها.

الكناية عن بيت المقدس في سورة المائدة:

قال تعالى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ).⁽²⁴⁾

وقد ذكر المفسرون أن المراد بالأرض المقدسة فلسطين⁽²⁵⁾ هنا ذكر (الأرض المقدسة) كناية عن موصوف وهو القدس، وقد تولت سورة المائدة عما تستحقه الأرض التي توجد بها القبلة من التقديس.

الكناية عن بيت المقدس في سورة الأعراف:

قال تعالى: (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ).⁽²⁶⁾

فسر المفسرون أن الأرض التي باركنا فيها هي أرض بيت المقدس،⁽²⁷⁾ وقد كنى عن بيت المقدس هنا بالأرض معرفة بالأم إذا بأنها الأرض الكاملة الأوصاف. وفي ذكر المفعول الثاني (مشارق الأرض ومغاربها) بالجهات كناية عن صفة الإحاطة، وفي ذلك زيادة إنذار الكافرين وزيادة بشارة المؤمنين.

قال تعالى: (وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ لَكُمْ حَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ).⁽²⁸⁾

قال المفسرون المراد بالقرية ما قالوه في سورة البقرة في الآية (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَعْفِرْ لَكُمْ حَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ).⁽²⁹⁾ وقد كانت القرية كناية عن موصوف وهو بيت المقدس.

الكناية عن بيت المقدس في سورة يونس:

قال تعالى: (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).⁽³⁰⁾

وقد فسر المفسرون أن المراد بمبوءاً صدق أرض فلسطين وذكر بعضهم أن المراد بمبوءاً صدق أرض مصر.⁽³¹⁾ وقد ذكر الحديث في سياق أسلوب إنشائي غير كلي بطريقة القسم وفي ذلك تأكيد على إنفاذ الله وعده. والمبوء: مكان البوء، أي: الرجوع والمراد السكن وأضيف المبوء إلى الصدق، لأن عادة العرب إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق وهو من إضافة الموصوف إلى الصف.

الكناية عن بيت المقدس في سورة الإسراء:

قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).⁽³³⁾

جاءت سورة الإسراء كاشفة عن التكريم لنبينا الكريم، وقد جاء لفظ المسجد الأقصى بحرف الانتهاء متبوعاً بوصفين كاشفين عن استحقاقه التعظيم وكونه مسرى النبي وهو مقر الأنبياء ومهبط الملائكة وموطن العبادات.⁽³⁴⁾

وما أجمل هذا الظرف في (الذي باركنا حوله) أي: لأجله فهو أبلغ من باركنا فيه، وقد جاء المسجد الأقصى هنا كناية عن بيت المقدس.

قال تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا).⁽³⁵⁾

وقد كُني عن المقدس: (الأرض) أي: المقدسة التي كأنها لشرفها هي الأرض، وفي ذلك من البيان عن مكانتها ولا يخفى أن ذلك مُلح بفضاعة حرم بين إسرائيل الذين أفسدوا في أرض تظاهرت تراكيب القرآن في البيان عن مكانتها.

قال تعالى: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا).⁽³⁶⁾

هنا ذكرت القدس مُكنى عنها بالديار، وذكر المسجد مفعولاً به، وقد وضع هذان الموقعان في رحم جملتين شرطيتين، كانت أداة الشرط فيهما (إذا) الدالة على تحقيق وقوع مدخولها (فإذا جاء وعد أولاهما)، (فإذا جاء وعد الآخرة) وقد وقعت الديار مضافة إلى خلال متعلقاً للفصل (جاسوا) والمعطوف على جواب الشرط، وقد عبر بهذا الفعل تناسباً مع قدر القدس الذي لم يقدره بني إسرائيل حق قدره، فالجوس: هو طلب الشيء باستقصاء⁽³⁷⁾ والملاحظ أن الذين جاسوا وصفوا بكونهم عباداً ألي بأس شديد وكل ذلك يؤكد الكناية عن القدس ومكانتها العظيمة.

قال تعالى: (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا).⁽³⁸⁾

وفي هذه الآية كُني عن القدس بـ(المسجد)، وقد ذكر المسجد معروفاً باللام كأنه لشرفه هو المسجد، ففي التعريف تعظيم له، وقد وقع كذلك مفعولاً به للفعل (ليدخلوا) المعطوف على الفعل (ليسوءوا وُجُوهَكُمْ) وفي ذلك من التنكيل بهم وأهانتهم، وكل ذلك يتأزر في الكشف عن مكانة المسجد الذي هو أشرف ما في القدس.

الكناية عن بيت المقدس في سورة الأنبياء:

قال تعالى: (وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ).⁽³⁹⁾

قال تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ).⁽⁴⁰⁾

في هاتين الآيتين جاء التعبير عن القدس بالكناية عن موصوف بأنها (الأرض التي باركنا فيها) وكل ذلك تأكيد عن عظم مكانة بيت المقدس في تلك الأرض وكونها ملاذ للنبيين.

الكناية عن بيت المقدس في سورة المؤمنون:

قال تعالى: (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ).⁽⁴¹⁾

ذكر المفسرون أن المراد بـ(رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) فلسطين، وهنا كناية عن الموصوف القدس وتأكيد البركة للأرض بالدليل فهي عبارة عن ربوات ووديان وجبال، وقيل أنه لو لا الرُّبَى غرقت القرى⁽⁴³⁾ كما ذكر أنه أحسن ما يكون النبات في الأماكن المرتفعة، وهي مع كونها آمنة بارتفاعها هي ذات قرار، أي: هي أهل أن يستقر فيها⁽⁴⁴⁾.

وقد ذكروا أن هذه الربوة هي الموقع الذي فرت إليه مريم، وهو الذي قيل لها فيه: قال تعالى: (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا).⁽⁴⁵⁾

الكناية عن بيت المقدس في سورة سبأ:

قال تعالى: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ).⁽⁴⁶⁾

وقد فسر المفسرون أن المراد بـ(القرى التي باركنا فيه) فلسطين.⁽⁴⁷⁾

وهنا كناية عن القدس التي وُصفت من قبل في سورة الأعراف وسورة الإسراء والأنبياء، وهذا التصوير بهذا الوصف من عميم البركات لأن الأقصى مبارك حوله والقدس عمت بركاتها كل من جاورها.

الكناية عن بيت المقدس في سورة ق:

قال تعالى: (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ).⁽⁴⁸⁾

قال المفسرون أن المراد بـ(مكان قريب) القدس⁽⁴⁹⁾

وروى ابن ماجه في سننه بسنده عن ميمونة قالت: يا رسول الله افتنا في بيت المقدس، قال: (أرض المحشر والمنشر أيتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره، قال: (أرأيت إن لم استطع أن أصل إليه؟ قال فتهدى له زيتاً يسرج فيه فمن فعل ذلك فقد آتاه). رواه أبو داود أيضاً.⁽⁵⁰⁾

وقد جاء في هذه الآية الحديث عن القدس بأسلوب الكناية عن الموصوف بالمكان القريب، وذلك في سياق جملة فعلية بأسلوب إنشائي، طريقة الأمر ومعناه التحذير، مخاطباً به النبي صلى الله عليه وسلم، مُراد به الأمة، فقد وقع وصف القدس مكنى عنه مجروراً بحرف الجر موصوفاً بالقرب لذا جاءت سورة (ق) تتظاهر تراكيبها على

التأكيد على يوم الخروج فجاء الحديث عن القدس هنا بكونها مكاناً للخروج. ليشترك الوصف والمكان بأن القدس أرض المحشر والمنشر.

الكناية عن بيت المقدس في سورة التين:

قال تعالى: (وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ).⁽⁵¹⁾ اختلف المفسرون في التين والزيتون، هل هو ذات الثمرتين أم إشارة إلى شيء آخر واختلفوا أيضاً في تحديد المُشار إليه، فعن ابن زيد، التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وعن ابن عباس، التين مسجد نوح على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس.

والقائلون بهذا القول ذهبوا إليه بمنطق أن المسجد موضع العبادة والطاعة، فلما كانت هذه المساجد في هذه المواضع التي يكثر فيها التين والزيتون فجاء ذكرها كناية عن هذه المساجد.

وذكر الشوكاني في سبب القسم (وطور سنين)⁽⁵²⁾ إنما أقسم الله بهذا الجبل لأنه بالشام وهي الأرض المقدسة كما في قوله تعالى: (إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ).⁽⁵³⁾

وأعظم بركة حلت به ووقعت عليه تكليم الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام.⁽⁵⁴⁾

نتائج وتوصيات:

أولاً: النتائج:

- 1- جاء ذكر بيت المقدس في القرآن الكريم في عدد ثمانية عشر آية من عدد عشرة سور، مرتبة من حيث التقديم والتأخير كما في المصحف الشريف وهي: البقرة، المائدة، الأعراف، يونس، الإسراء، الأنبياء، المؤمنون، سبأ، ق، التين.
- 2- هنالك اصطفاء لأسلوب الكناية للتعبير عن القدس ومكانتها.
- 3- حديث القرآن عن القدس جاء متناغماً مع ترتيب النزول، حيث جاء ملائماً حال الرسول وصحابته وقت التنزيل وملائماً كل الأحوال عبر الزمان.
- 4- جاء كل حديث القرآن عن القدس على أنها أرض مقدسة ومباركة، والمؤمنون ملزمون بتقديسها وتطهيرها.
- 5- دعمت الدراسة عن طريق الكناية على أن القدس هي أرض المحشر والمنشر.

ثانياً: التوصيات:

- 1- توصي بأن تكون هذه الدراسة هي نقطة بداية لدراسات أخرى في القرآن الكريم في مجال البلاغة عامة وفي الكناية خاصة.
- 2- الدراسات في مجال القرآن الكريم ترفد المكتبة الإسلامية وتغذيها بالكتب التي تفيد المسلمين في معرفة أمور دينهم.

خاتمة

قامت هذه الدراسة في البحث عن نا ورد عن بيت المقدس في القرآن الكريم عن طريق الكناية والتغطية والستر في الآيات والسور والإحاطة بكل أنواع الكناية. وقد اشتملت الدراسة على تعريف الكناية في اللغة والاصطلاح ثم تحدثت عن بيت المقدس في جس المسلمين وفكرهم الديني وعن القدس باعتبار أنها أرض الإسراء والمعراج. وقد ورد ذكر بيت المقدس في القرآن الكريم في عدد ثمانية عشر آية من عدد عشرة سور موضحة داخل الدراسة وقد جاءت كل هذه الآيات متناغمة ومؤكدة على أن القدس هي أرض المحشر والمنشر.

المصادر والمراجع:

- 1- المصباح المنير، لأحمد بن علي الفيومي المقرئ، تحقيق الدكتور عبدالعظيم الشناوي، الطبعة الثانية، دار المعارف، ج2، ص 204.
- 2- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق عبدالعظيم الشناوي، ج1، ص 120.
- 3- سورة القصص، الآية (9).
- 4- أساس البلاغة، جلال الدين أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري، تحقيق الدكتور مزيد نعيم والدكتور شوقي المعري، ج2، ص 222.
- 5- الواضح في علم البيان لأبي منصور البغدادي، ص 57.
- 6- الواضح في علم البيان، شرح وتسهيل على متن تحفة الأخوان، لابن مصطفى، ص 62.
- 7- سورة المنافقون، الآية (5).
- 8- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبدالمتعال الصعيد، ص 543.
- 9- سورة القصص، الآية (13).
- 10- المفيد في علم البيان، للدكتور نمير سليمان علي، ص 91.
- 11- ديوان زياد الأعج، شاعر العربية في خرسان، جمع وتحقيق الدكتور يوسف محمد حسين، ص 42.
- 12- سورة البقرة، الآية (150).
- 13- اليهود في القرآن الكريم سيرتهم وأخلاقهم وأحوالهم قبل البعثة، بقلم محمد عزة وروزة، ص 312.
- 14- سورة البقرة، الآية (142).
- 15- سورة البقرة، الآية (143).
- 16- سورة الأنبياء، الآية (107).
- 17- سورة البقرة، الآية (58).
- 18- جامع اللبيان، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، 299/1.
- 19- سورة البقرة، الآية (142).
- 20- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، 22/2.
- 21- سورة البقرة، الآية (143).
- 22- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، 8/3.
- 23- سورة البقرة، الآية (145).
- 24- سورة المائدة، الآية (21).

- 25- الجامع لأحكام القرآن الكريم، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تصحيح الشيخ هشام سمير البخاري، 409/1.
- 26- سورة الأعراف، الآية (137).
- 27- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم عمر البقاعي، 92/3.
- 28- سورة الأعراف، الآية (161).
- 29- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية، الناشر دار الأمة، 315/2.
- 30- سورة يونس، الآية (93).
- 31- مفاتيح الغيب، للإمام الرازي فخر الدين، طباعة دار الفكر، 440/8.
- 32- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، 282/11.
- 33- سورة الإسراء، الآية (1).
- 34- نظم الدرر، للإمام برهان الدين، مرجع سابق، 329/4.
- 35- سورة الإسراء، الآية (4).
- 36- سورة الإسراء، الآية (5).
- 37- نظم الدرر، مرجع سابق، 336/4.
- 38- سورة الإسراء، الآية (7).
- 39- سورة الأنبياء، الآية (71).
- 40- سورة الأنبياء، الآية (81).
- 41- سورة المؤمنون، الآية (50).
- 42- المحرر الوجيز، مرجع سابق، 176/4.
- 43- نظم الدرر، مرجع سابق، 204/5.
- 44- المحرر الوجيز، مرجع سابق، 176/4.
- 45- سورة مريم، الآية (24).
- 46- سورة سبأ، الآية (18).
- 47- مفاتيح الغيب، للإمام الرازي، مرجع سابق، 381/11.
- 48- سورة ق، الآية (41).
- 49- نظم الدرر، مرجع سابق، 267/7.
- 50- إعلام المساجد بأحكام المساجد، محمد بن عبدالله الزرلشي، ص 289.
- 51- سورة التين، الآية (1).

- 52- سورة التين، الآية (2).
- 53- سورة الإسراء، الآية (1).
- 54- أدب الطلب في منتهى الإرب، لكاتب محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ص 489.